الخصائص الإنسانية للدعوة الإسلامية

أندِي عبد الْحمزة بن أندِي عبدِ الْمنان *

Abstrak

Penyebaran Islam yang sangat cepat ke berbagai belahan dunia dengan sambutan hangat dari berbagai ras, suku bangsa dan berbagai macam warna kulit, sempat membuat para ahli sejarah tercengang dan mengungkapkan keheranan mereka bercampur kagum dengan peristiwa besar ini. Sebabnya adalah karena al-Islam adalah milik Allah swt., oleh karena itu, Dia lah yang berkuasa untuk melakukan apa yang dikehendakinya. Selain itu, Allah swt. meletakkan dasar-dasar yang manusiawi bagi ajaran Islam, di mana dengan dasar-dasar itu, Islam dengan mudah dapat diemban, dicerna, dan dilaksanakan oleh seluruh manusia tanpa terkecuali, kapan dan di mana saja. Dasar-dasar tersebut seperti: menjaga dan menghargai akal, jiwa, harga diri, agama dan harta benda, syari'atnya universal, menghindari ketidak selesaan, sangat sesuai dengan fitrah manusia, dan menghargai hasil olah akal dan pikiran. Dasar-dasar inilah yang dijalankan oleh Islam dan diperaktekkan oleh para *du'āt* (penyebar Islam), sehingga dalam tempo yang sangat singkat, dapat menyebar, dibanding dengan agama lain yang eksis sebelumnya.

Kata kunci:
(حفظ العقل ، حفظ النفس ، العرض ، حفظ الدين ، حفظ المال ، شمول التشريعات ، رفع الحرج ، اتساق الإسلام مع الفطرة ، تشريف الإسلام للفكر الإنساني)

إن أصول الدين الإسلامي تسوق إلى غاية جلية وهي كونه خاتم الأديان موجها للناس كآفةً وتلك الأصول المصطبغة بالصبغة العالمية ترسي دعائم مجتمع صالح تتوثق فيه العلاقة بين المسلم وخالقه وبينه وبين أخيه الإنسان ، كما تصان فيه الكرامة الإنسانية التي شرفها الله بالآدمية وزادها شرفا ببعث هذا الدين . ومن أبرز الخصائص التي جعلت الإسلام صالحا لأن يكون دينا للشريعة على اختلاف أعصارها وأمصارها ما يأتي :

---

* *Dosen Universitas Islam Alauddin Makassar, diperkejakan pada UNHAS*

أولاً : تحقيقه لمقاصد خمسة تحقق مصالح الإنسان في مجتمعه بحيث لا يكون هناك تصادم بين رغبة الفرد وغاية الجماعة .

أ - حفظ العقل : فقد صانه الإسلام فحرم الخمر وكل ما يذهب العقل وفرض حدا يزجر به من يجرؤ على إفساد عقله هروبا من الواقع ، ويقام هذا الحد في جماعة حتى تعم فائدة الزجر ويحس ا تمع بواجب المحافظة على عقل كل فرد فيه .

ب - حفظ النفس : أما النفس فقد صا ا الإسلام صيانة لا نظير لها في التشريعات الأرضية حتى أنه جعل اعتداء الإنسان عليها أشنع الجرائم وتوعد من يفعا ذلك بالعقاب المؤبد فقد قال تعالى : [**يا أيها الذِين آمنوا لا تأكُلُوا أموالَكُم بينكُم ِبالباطِلِ ِإلا أن تكُونَ ِتجارةً عن تراضٍ منكُم ولا تقْتلُوا أنفُسكُم ِإن اللّه كانَ ِبكُم رحِيما**] (سورة النساء ، الآية : ٢٩) ، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **((من تردى من جبل فقتل نفسه فهو** في **نار جهنم يتردى فيه خالدا** مخلدا **فيها أبدا ومن** تحسى سما **فقتل نفسه فسمه** في **يده يتحساه** في **نار جهنم خالدا** مخلدا **فيها أبدا ومن قتل نفسه** بحديدة **فحديدته** في **يده** يجأ ا في **بطنه** في **نار جهنم خالدا** مخلدا **فيها أبدا))** (البخاري ، ج ٥ ، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث : ١٩٨٧ م) .

ويمثل ذلك توعد الله قاتل أخيه بغير حق مشيرا إلى أن هذا الأصل محفوظ كذلك في الشرائع السابقة . قال تعالى بعد قصة ابني آدم الذين قاتل أحدهما الآخر في أول جريمة في تاريخ البشرية : [**ِمن أجلِ ذَلِك كَتبنا علَى بنِي ِإسراِئيلَ أنه من قَتلَ نفْسا ِبغيرِ نفْسٍ أو فَسادٍ ِفي الأرضِ فَكَأنما قَتلَ الناس جمِيعا ومن أحياها فَكَأنما أحيا الناس جمِيعا ولَقَد جاء تهم رسلُنا ِبالبيناتِ ثُم ِإن كَِثيرا منهم بعد ذَِلك ِفي الأرضِ لَمسرِفُونَ**] . (سورة المائدة ، الآية: ٣٢) .

وقال تعالى : [ومن يقْتلْ مؤمِنا متعمدا فَجزآؤه جهنم خاِلدا ِفيها وغَضِب اللّه علَيِه ولَعنه وأعد لَه عذَابا عظِيما] (سورة النساء ، الآية: ٩٣) .

ج - العرض : حفاظا على شرف الإنسان وكرامته اتفق الإسلام مع الشرائع السابقة في الدعوة إلى العفة والطهارة ، وأحاط الإنسان بسياج أخلاقي يحصنه من هتك الأعراض فقال تعالى : [**ولا تقْربوا الزنى ِإنه كَانَ فَاحِشةً وساء سِبيلاً**] . (سورة الإسراء ، الآية : ٣٢) . فحد الرجم للمحصن والجلد للبكر كما وضع حد القذف والملاعنة بين الزوجين المتقاذفين فقال تعالى : [**والَّذِين يرمونَ الْمحصناتِ ثُم لَم يأتوا ِبأربعةِ شهداء فَاجلِدوهم ثَماِنين جلْدةً ولا تقْبلُوا لَهم شهادةً أبدا وأولَِئك هم الْفَاسِقُونَ**] **.** (سورة النور ، الآية : ٤) **.** وقال تعالى في شناعة المغتاب : [**يا أيها الَّذِين آمنوا اجتِنبوا كَِثيرا من الظَّن ِإن بعض الظَّن ِإثْم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكُم بعضا أيحِب أحدكُم أن يأكُلَ لَحم أخِيهِ ميتا فَكَرِهتموه واتقُوا اللَّه ِإن اللَّه تواب رحِيم**] . (سورة الحجرات ، الآية : ١٢) . . وتوعد الأفاكين بقوله تعالى

: [**إن الذين يحبونَ أن تشيع الفاحِشةُ في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمونَ**] . (سورة النور ، الآية : ١٩) .

د - حفظ الدين : يقدر الإسلام الحالة النفسية للإنسان في التعلق بالعقيدة التي يعتنقها فحين يخاطبه بأصل العقيدة الإسلامية يحرك في النوازع الوجدانية والقدرات العقلية فيرشده بالرجوع إلى عقيدة الإسلام راضيا مطمئنا أو أن ينحرف عنها موكولا إلى نوازعه وأهوائه فقال تعالى : [**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفُر بالطاغُوتِ ويؤمن باللّهِ فقدِ استمسك بالعروةِ الوثقى لا انفصام لها واللّه سميع عليم**] . (سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦) . وخاطب نبيه بقوله تعالى : [**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كُلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكُونوا مؤمنين**] . (سورة يونس ، الآية : ٩٩) . وقال تعالى : [**وقُل الحق من ربكُم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفُر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادِقُها وإن يستغيثوا يغاثُوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقًا**] . (سورة الكهف ، الآية : ٢٩) .

ه - حفظ المال : ى الإسلام أتباعه عن انتهاك حرمة المال فحرم الربا ووضع حدا للسرقة والحرابة ، قال تعالى : [**والسارق والسارقةُ فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من اللّهِ واللّه عزيز حكيم**] . (سورة المائدة ، الآية : ٣٨) . وقال تعالى : [**الذين يأكُلونَ الربا لا يقُومونَ إلا كما يقُوم الذي يتخبطه الشيطانُ من المس ذَلِك بأنهم قالُوا إنما البيع مِثْلُ الربا وأحل اللّه البيع وحرم الربا فمن جاءه موعِظةٌ من ربهِ فانتهى فله ما سلف وأمره إلى اللّهِ ومن عاد فأولـئك أصحاب النار هم فيها خالِدونَ**] . (سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥) . وقال أيضا : [**إنما جزاء الذين يحاربونَ اللّه ورسوله ويسعونَ في الأرض فسادا أن يقتلُوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو ينفَوا من الأرض ذَلِك لهم خِزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**] . (سورة المائدة ، الآية : ٣٣) .

ووجه دلالتها على عموم الرسالة أ ا مصونة للإنسان فردا وجماعة كل الوسائل المؤدية إلى تضييع مقصد منها ، فمصالح الإنسان قائمة على حفظ هذه المقاصد وشريعة الإسلام تكفل له حفظها بسلطان هو الالتزام الخلقي وبرادع ظاهر وهو الحدود التي يقوم أولو الأمر على تطبيقها .

ثانيا : شمول التشريعات

لقد جاءت الدعوة الإسلامية مستجيبة لطبائع الناس عامة ولمراحل التطور كافة فلا تفرق الدعوة بين ذكر وأنثى ولا تضع في تقديرها ميزة للون أو الجنس ، ولا لعارض من عوارض الدنيا كالمال والجاه وأرومة النسب ، وبذلك يحقق التشريع الإسلامي العدل والإخاء والحرية والمساواة ، هذه المبادئ التي ناد ا كثير من المصلحين ولكنهم لم يخرجوها من دائرة النظر والرأي إلى واقع الحياة كما جسمها الإسلام بين معتنقيه فبلال بن

رباح عبد الجاهلية يصبح سيدا في الإسلام أمينا على بيت مال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومؤذنا يوم الفتح وعائشة أم المؤمنين يتعلم على يديها كثير من الصحابة والتابعين ، بل يحتكمون إليها وإلى حفصة وأم سلمة في كثير من القضايا التي يعجز بعض أعلام الصحابة عن الفصل فيها .

ثالثا : رفع الحرج

إن الدعوة الإسلامية ميسرة حيث إن جميع عبادات الدين سهلة ميسرة لا عناء على المسلم من أدائها فالصلاة مثلا عبادة فرضها الإسلام على المسلمين ووزعها على أوقات متباعدة تشمل الليل والنهار وجعلها تؤدي في أوقات خمسة لا تستغرق سوى دقائق معدودة ، والصوم مثلا فريضة مقدرة بشهر وحد في السنة يعفى منها المريض والشيخ والمسافر وذوات الأعذار من النساء ، والزكاة لا يؤديها إلا من ملك النصاب وبمقدار ليس فيه إجحاف للمتصدق ، والحج فرض لمن استطاع إليه سبيلا كما استثنى من فرضية الجهاد أولي الضرر ولم يتوعد بالعقاب على الذنوب التي ترتكب بطريقة الخطأ والنسيان أو تحت طائلة الإكراه ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ و النسيان وما استكرهوا عليه)) . (** سنن ابن ماجة ، كتاب الطلاق ، بدون سنة **) .** واشتهر عند الفقهاء بأن الشقة تجلب التيسير فكلما كان المسلم المطالب بفعل واجب وترك محذور عاجزا عن الامتثال لأسباب خارجة عن إرادته جاز له الخروج من عجزه ورفع الحرج عن نفسه بالتخفيف من الواجب ، ومباشرة المحذور كالمضطر حين يباح له الأكل من الميتة قال تعالى : [**إنما حرم عليكُم المَيتةَ والدم ولحم الخنزير وماَ أُهِل لِغير اللّهِ بِهِ فَمن اضطُر غَير باغٍ ولا عادٍ فَإِن اللّه غَفُور رحِيم**] . (سورة النحل ، الآية : ١١٥) .

وبلغ التشريع الإسلامي الحد في رفع الحرج عن المسلم إن أجاز له التلفظ بكلمة الكفر إذا أكره على ذلك ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان ، قال تعالى : [**من كَفَر بِاللّهِ مِن بعدِ إيمانِهِ إِلا من أُكْرِه وقَلْبه مطْمئِن بِالإِيمانِ ولَـكِن من شرح بِالْكُفْرِ صدرا فَعلَيهِم غَضب من اللّهِ ولَهم عذَاب عظِيم**] **. (** سورة النحل ، الآية : ١٠٦ **) .**

رابعا : الإسلام يصرح باتفاقه مع الدعوات السابقة في أصولها ، فهو يدعو إلى الإيمان بجميع الرسل السابقين بدعوا م وهذا جمع للإنسانية في إطار الدعوة الإسلامية حيث تجد الأمم السابقة في هذا الدين تكريما لرسلهم مما يؤكد لهم عالمية هذا الدين بل وأجمع العلماء الأصوليون على اتباع بعض الأحكام في الشرائع السابقة فقالوا : (شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ) وهذا ما عبر عنه مسلم كان قسيسا ثم أسلم عندما قيل له : كيف تخرج من المسيحية ؟ وتدخل في الإسلام ، فقال : ((ما خرجت من المسيحية ولكن أدركت أصولها وسرت فيها إلى أقصى مداها ، فالإسلام امتداد لكل أديان السماوية الصحيحة إذا انتهت إليه وبه)) . (الشيخ محمد أبو زهرة : ١٩٧٠ م) .

خامساً : ومن العوامل التي تضمن استمرار الإسلام مع العصور وتؤمن بقاء تمكنه في النفوس اتساقه مع الفطرة واستجابته للطبيعة البشرية فهو لا يطفئ الغرائز بل يهذ ا ، فالزواج ذيب للغريزة الجنسية وتوجيهه لها نحو حفظ النوع الإنساني ، وضابط الزكاة حماية لغريزة التملك من الانجذاب من البخل والعدوان كما أنه يشجع استثمار الدوافع النفسية ولا يميتها بل يوازن بينها . فالجهاد دافع **للإصلاح [وقَاتِلُوهم حتى لا تكُونَ فِتنةٌ ويكُونَ الدين لِلّهِ فَإِن انتهواْ فَلا عدوانَ إِلا على الظالِمِين] . (** سورة البقرة ، الآية : ١٩٣ **) .**

والتعلم طريق إلى الخير والتقوى [**ومِن الناس والدواب والأنعامِ مختلِف ألوانه كَذَلِك إِنما يخشى الله مِن عِبادِهِ الْعلَماء إِن الله عزِيز غَفُور**] . (سوة فاطر ، الأية : ٢٨) .

والعمل منضبط بالكسب النافع للفرد والجماعة لا يصادم حاجة الأمة ولا يهضم حق الفرد **[وقُلِ اعملُواْ فَسيرى اللّه عملَكُم ورسولُه والْمؤمِنونَ وستردونَ إِلَى عالِمِ الْغيبِ والشهادةِ فَينبئُكُم بِما كُنتم تعملُونَ]** . (سورة التوبة ، الآية : ١٠٥) .

والأخلاق في الإسلام تتجاوب مع الفطرة الإنسانية المغروسة في تربة البراءة والطهر ، فالصدق هو الصدق لا يخضع لقياس النفعية كما هو الحال في الأخلاق الغربية ، فالمسلم مطالب بالتزام الفطرة في التمسك بالصدق فلا يكذب على نفسه ولا يخدع الآخرين وإن كان في ذلك تضييع لمنفعته الشخصية والكذب ممنوع في شريعة هذا الدين وإن جر نفعا لصاحبه ، وقس ذلك على بقية الفضائل والرذائل ولقد صرح القرآن الكريم والحديث الشريف بملاءمة الإسلام للفطرة البشرية فقال تعالى : [**فَأَقِم وجهك لِلدينِ حنِيفًا فِطْرةَ اللهِ الَتِي فَطَر الناس علَيها لا تبدِيلَ لِخلْقِ اللهِ ذَلِك الدين الْقَيم ولَكِن أَكْثَر الناس لا يعلَمونَ] . (** سورة الروم ، الآية : ٣٠ **) .** وقال أيضا : **[صِبغةَ اللّهِ ومن أَحسن مِن اللّهِ صِبغةً ونحن لَه عابِدونَ] . (** سورة البقرة ، الآية ١٣٨ **) .**

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) . (البخاري : ١٩٩٤) .

وغضب غضبا شديدا عندما سمع بأن نفرا من الصحابة اعتزموا اعتزال الناس والمداومة على الصيام والاستمرار في قيام الليل ، ولم يكتف بزجرهم بل وقف خطيبا في المسجد يعلن أن لا رهبانية في الإسلام فقال منكرا عليهم وعلى من يحذو حذوهم مخالفتهم لمبدأ الفطرة : **((أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم** لله **وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس** مني **)) . (** البخاري : ١٩٩٤ **) .**

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور : ((إنه لما أراد الله جعله دينا عاما لسائر البشر دائما إلى انقضاء هذا العالم جعله مساوقا للفطرة المقررة في نفوس سائر البشر لتكون الجامعة العامة للبشر مشتقة من الوصف العظيم المشترك بينهم وهو وصف الفطرة ، لأن شعوب البشر وهم مختلفون في الأخلاق والعوائد والمشارب والتعاليم لا يمكن جمعهم جمعا عمليا غير وهمي في جامعة واحدة ما لم يكن عمودها وقاعد ا مرتكزا في سائر النفوس)) . (الطاهر بن علشور : بدون سنة) .

سادسا : والإسلام يعد التفكير العقلي واجبات المسلم ولذلك صرف نظره إلى التفكير في الآيات الكونية ودعاه في التأمل في الآيات القرآنية ، قال تعالى : [**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج**] . (سورة ق ، الآية : ٦) . [**قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**] . (سورة يونس ، الآية : ١٠١) . [**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**] . (سورة آل عمران ، الآية : ١٩٠) . [**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**] . (سورة الذاريات ، الآية : ٢١) . وقال تعالى : [**وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**] . (سورة ص ، الآية : ٢٠) . [**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**] . (سورة النساء ، الآية : ٨٢) .

وتاريخ العلم والعلماء شاهد ناصع على تشريف الإسلام للفكر الإنساني في ميادينه المختلفة ، فلو لا القرآن ودعوته إلى البحث و التفكير لما زخرت العلوم الإسلامية بكنوزها المتنوعة في علوم اللسان (البلاغة ، والنحو ، والأدب) ، وعلوم العقل (المنطق ' والفلسفة ، والطبيعة وغيرها) والإسلام لا يعطل العقل ولا يغيبه عن فهم العقائد والشرائع بل يجعله متضافرا مع الوحي في إطلاع الإنسان على الحق والهدى على خلاف ما يدعو إليه المحرفون للديانتين اليهودية والنصرانية من حجر على العقل وتفريق بينه وبين تعاليمهم الكنسية والتلمودية ، والكنيسة تضطهد العلماء مجرد نشرهم لنظريات علمية بحتة لا علاقة لها باللاهوت .

يقول الأستاذ محمد الغزالي : ((في المزالق المتلفة قد يقول لك ناصح أمين أغمض عينيك واتبعني ولا تسألني عن شيئ يستثيرك ، وربما تكون السلامة في طاعته فأنت تمشي وراءه حتى تبلغ مأمنك فلو هلك هلكت معه ، أما لو جاءك من أول الأمر رجل رشيد فرسم خط السير وحذرك ومواطن الخطر وشرح لك في إفاضة ما يطوي لك المراحل ويهون عليك المتاعب وسار معك قليلا ليدربك على العمل بما عملت فأنت في هذه الحال رائد نفسك ، والله عز وجل عندما بعث محمدا – صلى الله عليه وسلم – لهداية العالم ضمن رسالته الأصول التي تفتك للألباب منافذ المعرفة بما كان ويكون)). (محمد الغزالي : ١٩٦٥) . وعلى ذلك اكتملت للإسلام صفة العالمية حيث كانت الأديان المتقدمة عليه تمهيدا له وتدرجا إلى قمته .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، ابن كثير - اليمامة ، بيروت . ط ٣، سنة ١٩٨٧ م .

سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني – المكتبة العلمية – بيروت .

المجتمع الإنساني في **ظل الإسلام** ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ط ٢ ، مكتبة الفكر – طرابلس ١٩٧٠ م .

أصول النظام الاجتماعي في **الإسلام** ، الطاهر بن عاشور .

فقه السيرة ، محمد الغزالي ، ، ط ٦ ، دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٩٦٥ م .

همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دون تاريخ . . بيروت : دار المعرفة للطباعة .